Va'ad al-Umam
fi Al-Qur'an va Al-Hadith
EISSN: 3060-7175

An Examination of the Theological Conflict between "Tawqit of the Reappearance" and the "Principle of Bada" in Imami Thought*

Mahmoud Malekirad
Assistant professor of the Islamic Sciences and Culture Academy, Qom, Iran.
m.malekirad@isca.ac.ir

Abstract

The doctrine of Mahdism, as one of the fundamental pillars of Imamiya thought, has consistently faced challenges and pitfalls, among which "Tawqit" (setting a time for the Reappearance) is one of the most significant. frequently narrated hadiths, using expressions such as "The time-setters have lied" (Kadhaba al-Waqqatun), have categorically rejected this phenomenon. On the other hand, the "Principle of Bada" (alteration in the divine will), as one of the theological characteristics of Shi'ism, emphasizes the possibility of change in non-definitive divine decrees based on human voluntary actions. This research, employing a descriptive-analytical approach and relying on authoritative library sources including the Holy Quran, the narrations of the Infallibles (AS), and theological texts, examines the fundamental conflict between these two categories. The central

* **Cite this article**: Malekirad, M. (2025). An Examination of the Theological Conflict between "Tawqit of the Reappearance" and the "Principle of Bada" in Imami Thought. *Va'ad al-Umam fi Al-Qur'an va Al-Hadith*, *2*(2), pp. 93-124.
https://doi.org/10.22081/jpnq.2026.73514.1029

▣ **Article Type:** Research; **Publisher:** Islamic Sciences and Culture Academy, Qom, Iran
▣ **Received**: 2025/04/27●**Revised:** 2025/05/28●**Accepted:** 2025/06/22● **Published online**: 2025/07/10

© 2025
authors retain the copyright and full publishing rights

question is: How does the principle of Bada render any claim of Tawqit inherently void? The research findings indicate that Tawqit necessitates the acceptance of an immutable historical determinism regarding the timing of the Reappearance, whereas the principle of Bada keeps the door open for the influence of human actions—such as supplication, repentance, and social reform—on hastening the advent of the Faraj (deliverance). These two perspectives—one based on temporal certainty and the other on the possibility of change through voluntary deeds—stand in clear and intrinsic conflict with one another. Accordingly, belief in the principle of Bada serves as a firm theological barrier against any claim of determining the time of the Reappearance and replaces passive, time-oriented waiting (for Imam Mahdi) with active and conscious waiting.

Keywords
Mahdism, Tawqit (Time-setting), Bada, Zuhur (Reappearance), Imamiya Theology, Intizar (waiting for Imam Mahdi's reappearance).

وعد الأمم في القرآن والحديث
EISSN: ٣٠٦٠-٧١٧٥

دراسة التعارض الكلامي بين «توقيت الظهور» و مبدأ «البداء» في الفكر الإماميّ*

محمود ملكي راد
الاستاذ المساعد في المعهد العالي للعلوم و الثقافة الإسلامية، قم، ايران.
m.malekirad@isca.ac.ir

الملخّص

تعدّ عقيدة المهدويّة من الدعائم الأساسيّة في فكر الإماميّة، وقد واجهت على الدوام تحديات وآفات كان من أبرزها «توقيت الظهور» (أي تعيين زمن محدد لظهور المهدي المنتظر). فقد جاءت الروايات المتواترة بتعابير من قبيل « كَذَبَ الوَقّاتون» نافيةً هذه الظاهرة على نحوٍ قاطع. ومن جهة أخرى، يُشكّل «مبدأ البداء» أحد خصائص علم الكلام عند الشيعة، إذ يؤكّد على إمكانية التغيّر في المقدَّرات غير الحتميّة الإلهيّة على أساس الأفعال الاختياريّة للإنسان. يتناول هذا البحث، بالمنهج الوصفي ـ التحليلي، وبالاعتماد على مصادر مكتوبيّة موثوقة من القرآن الكريم، وأحاديث المعصومين عليهم السلام، والنصوص الكلاميّة، دراسةَ التعارض الجوهري بين هذين المفهومين.

تكمن القضية الرئيسة في: كيف يُبطل مبدأ البداء أيَّ ادعاءٍ بتوقيت الظهور من الأساس؟ تُشير نتائج البحث إلى أنّ توقيت الظهور يستلزم قبول جبريّة تاريخيّة غير قابلة للتغيّر في زمان

* **الاستشهاد بهذا المقال:** ملكي راد، محمود. (٢٠٢٥). دراسة التعارض الكلامي بين «توقيت الظهور» و مبدأ «البداء» في الفكر الإماميّ. وعد الأمم في القرآن والحديث، ٢(٢)، صص ٩٣-١٢٤.
https://doi.org/10.22081/jpnq.2026.73514.1029

▣ **نوع المقالة:** مقالة بحثية؛ **الناشر:** المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية© المؤلفون.

▣ **تاريخ الاستلام:** ٢٠٢٥/٠٤/٢٧●**تاريخ الإصلاح:** ٢٠٢٥/٠٥/٢٨●**تاريخ القبول:** ٢٠٢٥/٠٦/٢٢●**تاريخ الإصدار:** ٢٠٢٥/٠٧/١٠

© 2025
authors retain the copyright and full publishing rights

الظهور، بينما يفتح مبدأ البداء باب تأثير أفعال الإنسان كالدعاء والتوبة والإصلاح الاجتماعي في تعجيل أمر الفرج. هذان المنظوران- أحدهما قائم على الحتميّة الزمنيّة والآخر على إمكان التغيّر وفق الأعمال الاختياريّة- يتناقضان تناقضًا واضحًا جوهريًّا. وبناءً على ذلك، فإنّ الإيمان بمبدأ البداء يشكّل في حدّ ذاته حاجزاً كلامياً متيناً أمام أيّ ادّعاءٍ بتحديد وقت الظهور، ويجعل الانتظار الفاعل الواعي بديلًا عن الانتظار السلبي المرتكز على الزمن.

الكلمات المفتاحية

المهدويّة، التوقيت (تحديد زمن الظهور)، البداء، الظهور، علم الكلام الإمامي، الانتظار.

المقدمة

يُعَدُّ «انتظار الفرج» - الذي وُصِفَ بأنّه «أفضل الأعمال» - جزءاً مهماً من الهوية الشيعية. بيد أنَّ امتداد زمن الغيبة الكبرى هيَّأ الأرضية لآفة «التوقيت» (أي تعيين وقت محدّد للظهور). وهذه الظاهرة من شأنها أن تُضعِف إيمان المجتمع من خلال إثارة آمال زائفة يتبَعُها يأس وإحباط. ولهذا السبب، فقد كذَّب الأئمة المعصومون عليهم السلام أيَّ محاولة لتحديد وقت للظهور بشكل قاطع، ووصفوا الموقّتين بالكاذبين (على سبيل المثال: الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٣٦٨).

يُعدّ مبدأ «البداء» من المعارف الدقيقة في مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويعني التغيير في المقدّرات غير الحتمية. وهذا التغيير هو نتيجة مباشرة للأفعال الاختيارية للإنسان، كالدعاء والصدقة. والنقطة الرئيسة هي أنّ البداء - خلافاً للتصوّرات الخاطئة - لا يعني جهل الله عزّ وجلّ أو ندمه؛ بل هو إظهار أمرٍ كان خفيًّا، مع كونه معلوماً سلفاً في العلم الأزلي لله تعالى، ولا يتحقق ولا يظهر إلّا عقب تغير الظروف بفعل الإنسان (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٤، ص ٩٢).

في مجال الدراسات المهدويّة، كان موضوع «التوقيت» والنهي عنه محطّ اهتمام دائم من قبل العلماء والباحثين. إنّ الأعمال التي تناولت دراسة علامات الظهور وآفات المهدوية، أشارت عموماً إلى ذم التوقيت ونقد التيّارات الموقّتة (أو القائلين بالتوقيت). ومن ذلك: كتاب: «تحليل و بررسى مسئله توقيت با رويكرد كلامى»[1] لمجتبى كودرزي، (المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، سنة ١٤٠٠ش)، وكتاب: «مردم و زمينه‌سازى ظهور»[2] لحسين إلهي نجاد، (المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، سنة ١٣٩٧ش)، ومقالة: «ارتباط بدا با ظهور حضرت

١. تحليل ودراسة قضية التوقيت بمنهج كلامي.
٢. الناس وتهيئة الظهور.

مهدی«[1] لخدامراد سليمانيان، (سنة ١٣٨٨ش).

من جهة أخرى، فإنّ «مبدأ البداء» قد نوقش وبُيِّن بتفصيل في كتب علم الكلام والعقائد الإماميّة، ابتداءً من الشيخ المفيد في كتابه «تصحيح اعتقادات الإمامية» (المفيد، ١٤١٤هـ) وصولاً إلى العلامة الطباطبائي في «الميزان» (الطباطبائي، ١٤١٧هـ)، حيث تمّ الردّ على الشبهات المثارة حوله. ومع ذلك، فإنّ الارتباط المباشر والممنهج والمُوحي بالتعارض بين هذين المفهومين الرئيسين - أعني «البداء» و «التوقيت» لم ينَلْ حظَّه الوافر من البحث والدراسة بوصفه موضوعاً مستقلًّا ومركزيًّا.

يسعى هذا البحث إلى سدّ هذه الفجوة البحثية، وتوضيح هذه الصلة الأساسية بشكل مركّز واستدلالي. لقد تشكّل هذا البحث حول محور السؤال الرئيس المتعلق بالنسبة المنطقية والكلامية بين «التوقيت» ومبدأ «البداء» الاعتقادي. وعليه، فإنّ الهدف النهائي لهذه المقالة هو التبيين الدقيق لهذا التعارض، وتقديم استدلال متماسك من أجل رفض التيّارات الفكرية المؤمنة بالتوقيت، بالاستناد إلى مبدأ «البداء» المُسلَّم به في عقائد الإماميّة.

١. المبادئ المفاهيمية والنظرية

١-١. التوقيت: دراسة المفهوم والنقد الروائي

«التوقيت» - من جذر «و-ق-ت» - يعني تحديد زمن معيّن لأمر ما (الجوهري، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٢٧٠). في الثقافة المهدوية، يُطلق هذا المصطلح على أيّ ادّعاء بتحديد سنة أو شهر أو يوم محدّد لواقعة الظهور. لقد وقفت الروايات الإمامية

١. ارتباط البداء بظهور الإمام المهدي.

بحزمٍ مطلقٍ في مواجهة هذه الظاهرة. ويمكن تقسيم هذه الروايات إلى عدّة أقسام:

١. القسم الأول: روايات التكذيب (كَذَبَ الوَقّاتون): هذه المجموعة - وهي الأكثر تكراراً - تصرّح بوضوح بأنّ أي تحديد للوقت هو كذب. (على سبيل المثال، رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «كَذَبَ الْمُوَقِّتُونَ، مَا وَقَّتْنَا فِيمَا مَضَى، وَ لَا نُوَقِّتُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ» (الطوسي، ١٤١١هـ، ص ٤٢٦). كما قال عليه السلام - في رواية أخرى - مؤكّداً أنّ أهل البيت لا يحددون وقتاً: «فَقَالَ: كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٣٦٨).

٢. القسم الثاني: الروايات الدالّة على سرّية أمر الظهور: تؤكّد هذه الروايات أنّ الظهور من أسرار الله تعالى، ولا يعلم به أحد سوى الله. (الصدوق، ١٣٩٥هـ، ج١، ص ٢٨٨).

٣. القسم الثالث: الروايات الدالّة على فجائية الظهور (يَأْتِيكُمْ بَغْتَةً): تشدّد هذه الروايات على وقوع الظهور بشكل مفاجئ وغير متوقع، وهذا الأمر يتناقض مع أي تحديد مسبق للزمن (على سبيل المثال، رواية الإمام الباقر عليه السلام: «...يَأْتِيهِمْ بَغْتَةً» (النعماني، ١٣٩٧هـ، ص ٢٧٩).

إنّ هذا الكمّ الهائل من الروايات يدلّ على أنّ قضية نفي التوقيت تُعدّ مبدأ لا يقبل التشكيك في الفكر الإمامي.

إنّ نفي التوقيت قد يكون لأسباب متعددة، منها:

١. الله وحده هو العالم بالزمن الدقيق للظهور، فلا يطلع على علمه أحد.

٢. لو حُدّد وقت معين ثمّ لم يقع الظهور في ذلك الموعد (وهو ما سيحدث قطعاً)، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى اليأس، وضعف العقيدة، بل وقد يؤدّي إلى إنكار أصل المهدويّة في أوساط الناس.

٣. تحديد الوقت يُهيّئ الأرضيّة للمحتالين والمدّعين الكذّابين، ليتمكنوا من خداع السُّذَّج والبُسَطاء بوعود زمنية.
٤. الواجب الأساسي للمنتظر هو الاستعداد الدائم، وإصلاح الذات والمجتمع. وتحديد الوقت يزيل هذه الحالة الديناميكية والاستعداد المستمر، ويحوّلها إلى مجرد انتظار سلبي حتى بلوغ تاريخ معين.

١-٢. البداء؛ التبيين الكلامي والأدلة القرآنية - الروائية

البداء لغةً يأتي بمعنى «الظهور بعد الخفاء» (الطريحي، ١٤١٦هـ، ج١، ص ٤٥)، وكذلك بمعنى «الظهور» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦٥). وردت مادة «بدا» سبع مرّات في القرآن الكريم، منها ست مرّات بمعنى «الظهور» ومرّة واحدة بمعنى «أنْ يبدو الشيءُ حسنًا»، ولم يُنسب أيّ منها إلى الله تعالى - أي لم يرد قط «بدا لله» أو ما يشابهه - وذلك في الآيات التالية: (الأنعام، ٢٨؛ الأعراف، ٢٢؛ طه، ١٢١؛ الزمر، ٤٧-٤٨؛ الجاثية، ٣٣؛ يوسف، ٣٥) (خطيبى كوشكى، ١٣٨٦ش، ص ١٥٠).

أمّا البداء في الاصطلاح الكلامي، فهو لا يعني أبدًا حلول الجهل أو العلم الجديد في الذات الإلهية؛ إذ إنّ ذلك محال عقلاً وكفر شرعاً. وإنّما معناه الدقيق هو: أنّ الله تعالى - وفقاً لعلمه الأزلي المطلق - يُقدِّر أمراً وفق الظروف القائمة، فإذا تغيّرت تلك الظروف بفعل الإنسان الاختياري، أظهر الله تعالى تقديراً آخر كان مخزوناً في علمه منذ الأزل. وعليه، فالبداء ليس تغييراً في العلم الإلهي، بل هو تغيير في مقام الفعل والتقدير الإلهي، وهو ما يعبَّر عنه بـ «لوح المحو والإثبات».

لأجل فهم أفضل، ينبغي أن نميّز بين مستويين من العلم والتقدير الإلهي:

١. العلم المكنون واللوح المحفوظ (العلم الذاتي الإلهي): هذا العلم هو علم الله المطلق الأزلي غير القابل للتغيير، وفيه سُجِّلت جميع حوادث العالم بصورة حتميّة

ونهائية. في هذه المرتبة من العلم، لا مجال لأي تغيير ولا لأيّ «بداء». قال الله تعالى: «وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (الرعد، ٣٩).

٢. علم المحو والإثبات (المقدّرات المشروطة): هذه المرتبة من المقدّرات هي أمور تتحقّق مشروطةً بظروف وأعمال الناس. يُطلِع الله - سبحانه - هذه المقدّرات عبر الملائكة أو الأنبياء على بعض الناس وهذه المقدّرات ظاهريّة وغير حتميّة، ويمكن أن تتغيّر بناءً على عوامل كالدعاء، والصدقة، وصلة الرحم، والتوبة، أو - على العكس - الذنوب والمعاصي الاجتماعية. «البداء» يحدث في هذه المرتبة. قال الله تعالى: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ...» (الرعد، ٣٩).

تُعدّ قصة قوم النبي يونس عليه السلام مثالاً بارزاً على البداء، إذ كان العذاب قد قُدِّر عليهم، وظهرت علاماته أيضاً، لكنهم لمّا تابوا جميعاً واستغاثوا بالله، رفع عنهم ذلك العذاب المقدّر. وهذا هو عين البداء. تُعرف الآية الكريمة: «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (الرعد، ٣٩) بأنّها أهمّ وثيقة قرآنيّة لهذا المبدأ. فـ «لوح المحو والإثبات» هو موضع المقدّرات القابلة للتغيير، و«أمّ الكتاب» (اللوح المحفوظ) هو موضع المقدّرات الحتمية. كما تواترت روايات عديدة تؤكّد على أهميّة هذا المبدأ. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ١٤٦). وتكمن هذه الأهميّة في أنّ البداء يُثبت القدرة المطلقة لله، والدور المحوري لإرادة الإنسان وعمله في تحديد مصيره.

١-٣. تحليل التعارض الواقع بين «التوقيت» و«البداء»

في المنظومة الفكريّة للتشيّع، يُعَدّ «انتظار الفرج» مبدأً ديناميكيًّا ومُكوّنًا للهويّة، إلّا أنّ طول الغيبة قد أفرز آفة «التوقيت» (تحديد وقتٍ للظهور). فهذه الظاهرة تستهدف إيمان المجتمع بخلقها أملًا كاذبًا يتبعه اليأس، ولهذا السبب نفاها الأئمّة الأطهار عليهم السلام بشدّة بعبارة «كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ». وعليه، فإنّ هذا

البحث، بعد تبيين أسس هذين المفهومين، يُهيِّئ الأرضيّة لتحليل التعارض الجوهريّ القائم بينهما.

١-٣-١. التعارض على مستوى «الجبر والاختيار»

إنّ مبنى التوقيت يستلزم الجبرية التاريخية. فأيّ ادّعاء بتحديد وقت قطعي للظهور يستلزم افتراض أنّ هذا الحدث ثابت في نقطة زمنية ثابتة لا تتغير في التاريخ. هذا المنظور يفرض نوعاً من الجبر التاريخي على مسألة الظهور، ويحوّل دور الإنسان إلى مجرد متفرج سلبي. إذا كان الزمن قد حُدِّد مسبقاً بشكل مطلق، فأي تأثير يمكن أن تكون لأعمالنا فيه؟

أساس البداء يستلزم الاختيار وإمكان تأثير الإنسان. ففي المقابل، يقوم مبدأ البداء على أساس أنّ أفعال الإنسان مؤثرة في مقدّراته. والأحاديث المتعددة التي تؤكّد على دور الدعاء في «تعجيل الفرج» مثل: «أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ» (الصدوق، ١٣٩٥هـ، ج٢، ص ٤٨٥)، لا تتّضح معانيها إلّا في إطار مبدأ البداء. فإذا كان زمان الظهور قابلاً للتعجيل، فهو إذاً لا يمكن أن يكون قد حُدِّد مسبقاً بشكل قاطع ومطلق. يعني ذلك: من جهة، التوقيت يدّعي الإطلاع على تقدير «قطعي وغير قابل للتغيير» بشأن زمان الظهور. ومن جهة أخرى، مبدأ البداء يؤكّد على حقيقة أنّ زمان الظهور هو تقدير «مشروط وقابل للتغيير» (في لوح المحو والإثبات) يتوقف على سلوك البشر وأعمالهم.

يقوم التوقيت أساسًا على التقدير «الحتمي»، في حين أنّ مبدأ البداء يؤكّد على كون المقدّرات «مشروطة وقابلة للتغيير» بناءً على أعمال الإنسان. وهذان الأمران في تضاد ظاهر، وقبول مبدأ البداء يبطل منطقياً أية دعوى للتوقيت. وعليه، فإنّ محاربة التيّارات المنحرفة القائلة بالتوقيت، بالإضافة إلى النقد الروائي،

تحتاج إلى الاعتماد على البراهين الكلامية الأساسية، لأنّ المؤمن بالبداء يعلم أنّ مصير الظهور مرتبط بأداء المجتمع وسلوكه.

١-٣-٢. التعارض في النسبة إلى «الأمور المحتومة» و«الأمور الموقوفة»

قُسِّمت وقائع آخر الزمان والظهور في الروايات إلى قسمين: «محتومة» و«موقوفة» (أو «مشروطة» وغير محتومة). فالعلامات الحتمية للظهور (كخروج السفياني واليماني...) هي أمور لا يدخلها البداء. ورواية عن الإمام الصادق عليه السلام تشير إلى هذا التمييز: «مِنَ الْأَمْرِ مَحْتُومٌ وَ مِنْهُ مَا لَيْسَ بِمَحْتُومٍ» (النعماني، ١٣٩٧هـ، ص ٣٠٠).

ادعاء التوقيت: إنّ الموقّتون يعتبرون «زمن» الظهور أمراً حتميًّا قابلاً للكشف، ويُدرجونه ضمن الأمور الحتمية. بينما يقتضي مبدأ البداء أن يكون «زمن» الظهور من جملة الأمور «الموقوفة» والمشروطة بتحقق الظروف (منها استعداد المجتمع الإنساني). ولو كان زمن الظهور من الأمور الحتمية، لكان الدعاء بتعجيله بلا معنى، ولانغلق باب البداء فيه.

والآن، ندرس تعارض «التوقيت» و«البداء» في هذا الإطار:

إنّ ادّعاء التوقيت هو جعل «زمن الظهور» من جملة الأمور الحتمية. فعندما يحدّد شخص (الوَقّات) زمناً معيّناً للظهور، فإنّه في الحقيقة يطرح ادعاءً كبيراً وجُزافيًّا. فهو يعتبر «زمن» الظهور أمراً حتميًّا لا يقبل التخلّف وقابلاً للكشف، ويُدرجه ضمنياً في عداد الأمور الحتمية. وهذا الادّعاء يستلزم أن يكون «الزمن» كـ«خروج السفياني» تماماً، لا يستطيع أيّ عامل أرضي أو بشري - كالدّعاء أو الذنب - أن يقدّمه أو يؤخّره. وهذا الافتراض المُسبَق، كما رأينا، يتعارض مع المباني الاعتقادية للإسلام.

ومقتضى مبدأ البداء هو جعل «زمن الظهور» من جملة الأمور الموقوفة. أي أنّ الروح السائدة على تعاليم المهدوية ومبدأ «البداء» الأساسي يقتضي أن يكون

مبدأ الظهور نفسه أمراً حتمياً، ولكن «الزمن» الدقيق لوقوعه يُدرج ضمن الأمور «الموقوفة» والمشروطة. فهذا الزمن يتوقف على تحقق الظروف بشكل كامل وإزالة العوائق، وأهمّها الاستعداد الشامل وقابلية المجتمع الإنساني لقبول تلك الدولة الكريمة. ولو كان «زمن» الظهور من الأمور الحتمية غير القابلة للتغيير، لكان التأكيد المتكرّر من الأئمةعليهم السلام على الدعاء لتعجيل الفرج لغواً وبلا معنى. فكيف يمكن الدعاء لتقريب أمر زمانه ثابت بشكل مطلق؟

إنّ الروايات التي تشير إلى تأخّر أمر الظهور بسبب أعمال الشيعة في الماضي، تظهر بوضوح أنّ باب «البداء» في «زمن» الظهور مفتوح. أساساً، فلسفة الغيبة والانتظار تقوم أساسًا على عملية النمو والتكامل، لا على الانتظار السلبيّ لبلوغ تاريخ محدّد سلفاً. وعليه، فالتوقيت يعتبر زمن الظهور حتمياً، بينما البداء يعدّه من الأمور غير الحتمية القابلة للبداء، وهذا هو التعارض الظاهر.

١-٣-٣. تعارض «التوقيت» و«البداء» في النسبة إلى الإرادة الإلهية

في النظرة الأولى، قد يبدو أنّ كلّاً من «التوقيت» و«البداء» يعودان بطريقة ما إلى الإرادة الإلهية: فالتوقيت يعني الإخبار عن إرادة حتميّة لله بوقوع الظهور في زمن معيّن، والبداء يعني تغيّر الإرادة الإلهية في لوح المقدّرات. لكن هذا التشابه الظاهري يُخفي اختلافاً جوهرياً وأساسياً. إنّ التعارض بين هذين التعليمين ينشأ من تفسيرين متعارضين تمامًا لماهيّة الإرادة الإلهيّة وكيفيّة تعلّقها بالأفعال الإنسانيّة والأحداث التاريخيّة، ولفهم هذا التعارض، لا بدّ من تفكيك ثلاثة مفاهيم رئيسة:

- ❖ الأول: العلم والإرادة الأزليان لله (مقام الذات / اللوح المحفوظ).
- ❖ الثاني: المقدّرات المسجّلة القابلة للتغيير (مقام الفعل / لوح المحو والإثبات).
- ❖ الثالث: دور الإرادة والاختيار الإنساني.

إنّ تعارض التوقيت والبداء يتجلّى تحديداً في كيفية ارتباط هذه الطبقات الثلاث ببعضها البعض.

٢. المبادئ اللاهوتية لـ «التوقيت» ونتائجها

يقوم «التوقيت» (تحديد وقت للظهور) على افتراض لاهوتي خاص.

٢-١. افتراض تقدير جبري

يدّعي المُوَقّت أنّ الإرادة الإلهية تعلّقت بوقوع الظهور في نقطة زمنية ثابتة وحتميّة لا تتغيّر. وهذا التقدير مستقلّ عن أيّ فعل أو دعاء أو ذنب أو إصلاح يصدر عن البشر. فالتاريخ في هذا المنظور كفيلم سُجِّل مسبقاً، سيصل في وقت معين إلى مشهد الظهور، والبشر ليسوا إلّا متفرجين على هذا المسار

٢-٢. الخلط بين العلم الأزلي والتقدير الفعلي

أنصار التوقيت يسوّون بين العلم الأزلي المطلق لله بزمن الظهور، وبين التقدير التنفيذي العيني لذلك الزمن في العالم الخارجي. وهم يستدلّون بأنّه «بما أنّ الله عالم بزمن الظهور، فهذا الزمن حتميّ وقابل للكشف (للخواص)». وهذا الاستدلال ينطوي على مغالطة، لأنّ العلم الإلهي بحدث ما لا يعني بالضرورة جبريته وعدم اشتراط ذلک الحدث. فالله يعلم أنّ فلاناً سيفعل كذا باختياره، وعلم الله لا يسلب اختياره.

٢-٣. النتيجة في النسبة إلى الإرادة الإلهية

بادعاء التوقيت وكون زمن معين للظهور حتميًّا، يُسدُّ أيُّ باب لإمكان «تقديم» أو «تأخير» الظهور بناءً على الحكمة البالغة الإلهية واستجابة للأفعال

البشرية. وكأنّ الله (نعوذ بالله) قد قيّد إرادته مرّة واحدة وإلى الأبد بتاريخ معيّن، ثمّ لم يعد بإمكانه تغيير التقدير وفقاً للمصالح الجديدة والظروف المتغيّرة. هذا المنظور يشبه الله بـ«صانع ساعات» قام بضبط العالم ثم تركه وشأنه، بينما في الفكر الإسلامي الشيعي، الله سبحانه «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» (الرحمن، ٢٩).

٢-٤. إلغاء دور الإنسان

إذا كان زمن الظهور ثابتاً ومطلقاً، فإنّ الدعاء لتعجيل الفرج، والصدقة بنيّة ذلك، والسعي لتهيئة الأرضية، كلّها أعمال عبثية لا تأثير لها في أصل وقوع الظهور. وهذا الأمر يبطل فلسفة الانتظار الديناميكي وتحمل الإنسان للمسؤوليّة

٣. المبادئ اللاهوتية لـ «البداء» ونتائجها

يقوم «البداء» على تفسير مختلف تماماً وديناميكي للإرادة الإلهية والتقدير:

٣-١. التفريق بين لوحي التقدير

بُني مفهوم البداء على أساس التفريق بين مستويين من التقدير:

اللوح المحفوظ (أم الكتاب): هذا اللوح مظهر العلم الأزلي المطلق لله، ولا سبيل فيه إلى أيّ تغيير («... عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»). وهو العلم القطعي الإلهي بمآل جميع الأمور بكل شروطها وموانعها.

لوح المحو والإثبات: هذا اللوح موضع المقدّرات «المشروطة» و«القابلة للتغيير» فالله تعالى في هذا اللوح يُقدّر تقديراً بناءً على الظروف الأوليّة، لكن هذا التقدير يمكن أن «يمحى» بناءً على متغيّرات جديدة (كالدعاء، والتوبة، والصدقة، أو ذنوب البشر)، و«يثبت» تقدير جديد. والآية الكريمة «يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ...» (الرعد، ٣٩) تشير إلى هذا المقام.

٣-٢. الإرادة الإلهية كنظام قانوني وديناميكي

بناءً على هذا المنظور، فإنّ الله سبحانه قد أراد أن تكون أعمال البشر مؤثرة في مصيرهم. فقد تعلّقت الإرادة الإلهية بأنّ «الدعاء» يستطيع تغيير التقدير، و«الذنب» يستطيع سلب النعمة. وعليه، فإنّ التغيير في لوح المحو والإثبات (البداء) ليس دليلاً على تغير في علم الله أو ضعف في إرادته، بل هو بالضبط تجلٍّ لإرادته الحكيمة في ترك يد الإنسان مفتوحة لتحديد مصيره بنفسه.

٣-٣. النتيجة في النسبة إلى الإرادة الإلهية

إثبات السيادة المطلقة والفاعلة لله: يُظهر البداء السيادة الحيّة والفاعلة والمستمرة لله تعالى على عالم الوجود. فالله ليس منفعلًا ينتظر بلوغ تاريخ محدّد سلفًا، بل يدبّر شؤون العالم باستمرار بناءً على حكمته واستجابة لأعمال عباده. وهذا يعني أنّ القدرة والإرادة الإلهيتين لا تقتصران أبدًا على تقدير مكتوب مسبقًا.

إضفاء المعنى على الاختيار ومسؤولية الإنسان: البداء هو أسمى تجلٍّ لإثبات تأثير الإرادة الإنسانية في إطار الإرادة الإلهية. فالإنسان باختياره يستطيع أن يُهيّئ الظروف ليستحق تقديرًا إلهيًّا أفضل. هذا التعليم يُحوِّل الإنسان من كائن سلبيّ إلى فرد فاعل في صنع مستقبل التاريخ (في مجال المقدّرات المشروطة). أمّا التوقيت فهو نابع من نموذج جبري يحوّل الإرادة الإلهية إلى تقدير حركيّ ثابت ويتجاهل دور الإنسان. وهذا المنظور يحبس الله في إرادته الأزلية وينفي قدرته على الفعل المستمر.

البداء نابع من نموذج تفاعلي وإرادي (في إطار المشيئة الإلهية) يفسِّر الإرادة الإلهية في صيغة نظام حكيم وديناميكي؛ نظام يُعترف فيه بإرادة الإنسان وأعماله كأحد أهمّ المتغيّرات في تحديد المصائر القابلة للتغيير. وعليه، فإنّ قبول مبدأ «البداء» كتجلّ للإرادة الحكيمة لله، يستلزم منطقياً وحتمياً نفي «التوقيت»

وإبطاله. فهذان المنظوران لا يجتمعان أبداً في نظام فكري متماسك، لأنّ أحدهما يقوم على «الجبر الزمني» والآخر على «اختيار الإنسان صانع التاريخ» في ظلّ الإرادة الإلهيّة.

٣-٣-١. تعارض وجهتي نظر «التوقيت» و«البداء» بشأن دور أعمال الإنسان

إنّ جوهر الفكر المهدوي في المذهب الإمامي ليس مجرد اعتقاد أخروي بمنقذ، بل هو «فلسفة عمل» لعصر الغيبة. وفي هذا السياق، يتشكل التعارض الجوهري بين مبدأ «التوقيت» (تحديد وقت الظهور) ومبدأ «البداء» (التغيير في التقدير الإلهي) بالتحديد حول مسألة: هل تؤدّي أعمال البشر وسلوكياتهم وإرادتهم الجماعية دوراً في تحقق أمر الظهور أو عدم تحققه، وفي تقديمه أو تأخيره، أم لا؟ فالتوقيت ينفي هذا الدور بشكل كامل، بينما البداء يثبته ويضفي عليه المحورية. يمكن تحليل هذا التعارض في إطار نموذجين متضادين تماماً: النموذج الجبري للتوقيت، والنموذج الاختياري للبداء.

٤. نموذج «التوقيت» وإلغاء دور الإنسان

يقوم فكر التوقيت، سواء بوعي أو بغير وعي، على افتراضات مسبقة تحذف دور أعمال الإنسان وتأثيرها من معادلة الظهور.

٤-١. افتراض التقدير الزمني المطلق وغير المشروط

أساس استدلال المُوَقّت هو أنّ الله تعالى جعل لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تاريخاً وزماناً ثابتاً وحتمياً محدداً سلفاً. وهذا التقدير رقم مطلق في تقويم التاريخ، لا يستطيع أي عامل – لا ذنوب البشر ولا أدعيتهم – أن يقدّمَه أو يؤخّرَه ولو لحظةً واحدة.

النتيجة المباشرة: في هذا الإطار، تصبح أعمال البشر بلا تأثير في «أصل الظهور وزمن وقوعه». فالتاريخ يسير نحو تلك النقطة المعينة، سواء كان البشر صالحين أم فاسدين. فالأعمال الصالحة (كالدعاء، والصدقة، والأمر بالمعروف) والأعمال السيئة (كالظلم، والفساد، والتقصير في الواجبات) تؤثّر فقط في المصير الأخروي للفرد أو وضعه الاجتماعي المؤقت، لكنّها لا تلعب أيّ دور في أهمّ حدث تاريخي مستقبلي، وهو زمن الظهور.

٤-٢. تجريد المفاهيم الأساسية للانتظار من محتواها الوظيفي

هذا المنظور يجرّد العديد من المفاهيم المحورية والعملية لدى الشيعة من محتواها الوظيفي:

دعاء تعجيل الفرج: إذا كان زمان الظهور ثابتاً لا يتغير، فما معنى إصرار الأئمة عليهم السلام على «الدعاء لتعجيل الفرج»؟ في نموذج التوقيت، يكون الدعاء في أحسن الأحوال عبادةً لنيل الثواب الشخصي، وليس «أداة فاعلة» لتغيير التقدير وتقريب الظهور. هذا الفكر يحوّل الدعاء من سلاح مؤثر إلى همس بلا تأثير.

تهيئة الأرضية للظهور: فلسفة «تهيئة الأرضية» (إحداث الاستعداد الفكري والثقافي والاجتماعي لقبول حكومة العدل) تقوم على أساس أنّ المجتمع الإنساني يجب أن يبلغ «الظروف اللازمة» للظهور. لكن إذا كان زمن الظهور محدداً سلفاً، فلا حاجة حينئذٍ لتحقق تلك الظروف، فالظهور سيقع في وقته المحدّد سواء كان المجتمع مستعدّاً أم لا. هذا المنظور يحوِّل الجهد لإصلاح المجتمع وإحداث الاستعداد إلى نشاط هامشيّ وغير ضروريّ.

التوبة والاستغفار الجماعي: تشير روايات متعدّدة إلى أنّ ذنوب الشيعة هي سبب طول أمد الغيبة (مثل التوقيع الشريف للشيخ المفيد). وهذه الروايات تربط بوضوح «عمل الإنسان» بـ«تأخير الظهور». وفكر التوقيت مضطر إمّا إلى

تجاهل هذه الروايات أو تأويلها بما يتوافق مع افتراض الزمن الثابت. ففي هذا المنظور، لا تستطيع التوبة الجماعية أن تحلّ عقدة الغيبة المستعصية.

٤-٣. النتيجة المنطقية: السلبيّة والجبرية التاريخية

عندما لا تكون لأعمال الإنسان أي تأثير في زمان تحقق أكبر آماله، فإنّ النتيجة الطبيعية هي التوجّه نحو « السلبيّة». فالمنتظر في هذا النموذج هو «مراقب» لا «ممثل». ووظيفته ليست إلّا الصبر لبلوغ التاريخ الموعود، لا السعي «لإبلاغ ذلك التاريخ. وهذا هو بعينه «الانتظار الهدّام» الذي يقود المجتمع إلى الجمود والجبريّة والتهرّب من تحمّل المسؤوليّات الاجتماعيّة.

٥. نموذج «البداء» وإضفاء المحورية على دور الإنسان

إنّ مبدأ البداء يقع في نقطة مقابلة تماماً للتوقيت، وقد بُني بكامله على أساس «إثبات دور أعمال الإنسان وتأثيرها» في مجال المقدّرات الإلهية.

٥-١. افتراض التقدير المشروط والتفاعلي

يقوم البداء على أنّ كثيراً من المقدّرات الإلهية (المسجّلة في لوح المحو والإثبات) هي تقديرات «مشروطة» لا مطلقة. فقد قدّر الله الأمور على أساس نظام من الأسباب والشروط، و«إرادة الإنسان وعمله» هما من أهمّ هذه الشروط.

النتيجة المباشرة: في هذا الإطار، يكون زمن الظهور أمراً «سيّالاً» و«مرتبطاً بالمتغيّرات». وهذا المتغير الرئيس هو «أداء الأمة الإسلامية». فترتقي أعمال البشر من موقع هامشي إلى موقع «محوري». فالتاريخ ليس طريقاً ذا اتجاه واحد ومصنوعاً مسبقًا، بل هو مسارٌ يُبنى جزءٌ منه بأيدي البشر وفي إطار السنن الإلهيّة.

٥-٢. إضفاء المعنى على المفاهيم الأساسية للانتظار

البداء يمنح جميع مفاهيم الانتظار العملية روحاً ووظيفة موضوعية:

دعاء تعجيل الفرج: الدعاء في ظلّ البداء هو «فعل فاعل» و«أداة تغيير». فكما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام بشأن قوم بني إسرائيل أنّ «ضجيجهم وبكاءهم» جعل الله يتجاوز عن ١٧٠ عاماً من عذابهم، وتحقّق البداء في تقديرهم، فكذلك الدعاء الخالص والجماعي للشيعة يمكن أن يكون شرطاً يوجب «البداء» في تقدير الغيبة وتعجيلاً في أمر الفرج.

تهيئة الأرضية للظهور: تهيئة الأرضية في هذا النموذج لم تعد عملاً مستحباً هامشياً، بل هي «الشرط اللازم» لتحقق الظهور. فهذه الجهود هي «الأعمال الصالحة» التي يمكن أن توجّه التقدير الإلهي نحو الظهور. فيدرك المجتمع المنتظر أنّه بإصلاح نفسه وإحداث الاستعداد، إنما يقوم بـ«توفير السبب» لوقوع «المسبّب» (الظهور).

التوبة والاستغفار الجماعي: الروايات التي تقدّم الذنوب كعامل للتأخير تجد معناها الكامل في إطار البداء. فالذنوب هي عوائق تقع في طريق تحقق التقدير المنشود (الظهور)، والتوبة هي إزالة لهذه العوائق. وهذا يعني أنّ الإنسان، سواء بالفعل الإيجابي (الدعاء والإصلاح) أو بترك الفعل السلبي (الذنب والتقصير)، يستطيع أن يكون مؤثراً في مصير الظهور.

٥-٣. النتيجة المنطقية: الديناميكية (الحركيّة) والمسؤولية التاريخية

عندما يعلم الإنسان أنّ مصير الظهور مرتبط بأدائه، فإنّه يتحول من مراقب سلبيّ إلى «فاعل صانع للتاريخ». فيدرك أنّ كل خطوة إيجابية منه يمكن أن تكون خطوة نحو شروق شمس الولاية، وأنّ كل تقصير أو ذنب يمكن أن يؤخّر هذا الشروق. هذا الإيمان يبقي الأمل حيّاً، ويوصل حس المسؤولية الفردية

والاجتماعية إلى ذروته. وهذا هو «الانتظار البنّاء» الذي يُمثّل المحرك الدافع للحركة والإصلاح في المجتمع الشيعي. وعليه، «التوقيت يستلزم نفي تأثير الأعمال، والبداء يقوم على إثبات تأثير الأعمال». فهذان المبدأان لا يتعارضان فحسب، بل يمثّلان نهجين متضادين تماماً تجاه فلسفة خلق الإنسان ودوره في تحقيق الوعود الإلهية. فقبول أحدهما يعني منطقياً رفض الآخر.

خلاصة القول، إنّ مبدأ البداء يعلّمنا أنّ أعمال البشر يمكن أن تكون مؤثّرة في المقدّرات الإلهية. فعلى سبيل المثال، إذا أصلح الناس أنفسهم وهيّأوا أرضية الظهور، فقد يحدث الظهور قبل أوانه المقدّر، وبالعكس. أمّا تحديد الوقت الحتميّ فإنّه يتجاهل هذا الدور المهمّ ويؤدّي إلى نوع من الجبريّة و السلبيّة.

٥-٣-١. تعارض «التوقيت» و«البداء» في مرآة روايات أهل البيت عليهم السلام

إنّ التعارض بين «التوقيت» و«البداء» في السنة الروائية الشيعية هو تعارض ذو اتجاهين: فكل فريق من الروايات ينفي الآخر بشكل مباشر أو غير مباشر. ويمكن دراسة هذا التقابل في ثلاثة محاور رئيسة:

- ✓ المحور الأول: الروايات الدالّة على النهي وتكذيبُ «الموقّتين» تكذيباً قاطعًا.
- ✓ المحور الثاني: الروايات الدالّة على إثبات «البداء» كمبدأ اعتقادي عام.
- ✓ المحور الثالث: الروايات الدالّة على التطبيق الخاص لـ«البداء» في «أمر الظهور» نفسه.

المحور الأول: الروايات الكثيرة في نفي التوقيت وتكذيبه

لقد ردَّ الأئمة الأطهار عليهم السلام بألفاظ لا نظير لها في شدتها وصراحتها، أيَّ ادعاء بتحديد وقت للظهور. إنّ هذه الروايات قد بلغت من التواتر والقطعيّة مبلغًا لا يَدَعُ أدنى مجالٍ للشكِّ أو الريب.

١- الأمر بتكذيب الموقتين

هذه الروايات تحدّد بوضوح واجب الشيعة في مواجهة المدّعين لتحديد الوقت: « كذّبوهم».

رواية فضيل بن يسار عن الإمام الباقر عليه السلام: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: هَلْ لِهَذَا الْأَمْرِ وَقْتٌ؟ فَقَالَ: كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ...» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٣٦٨)

تحليل: إنّ التكرار الثلاثي لعبارة « كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ» يدلّ على أقصى درجات التأكيد من الإمام على بطلان هذا الادعاء. وهو نهي مطلق بلا استثناء.

رواية محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ وَقَّتَ لَكَ مِنَ النَّاسِ شَيْئاً فَلا تَهَابَنَّ أَنْ تُكَذِّبَهُ، فَلَسْنَا نُوَقِّتُ لِأَحَدٍ وَقْتاً» (الطوسي، ١٤١١هـ، ص ٤٢٦).

تحليل: تحوّل هذه الرواية تكذيب الموقتين إلى واجب على الشيعة، وتعلن صراحة أنّ هذا الأمر من الأسرار الإلهية التي لم يؤمر الأئمة عليهم السلام أنفسهم بإبلاغها.

٢- خفاء وقت الظهور حتّى على أقرب المقرّبين

تؤكّدُ الرواياتُ أنّ العلمَ بميقات الظهور مختصٌّ بالذات الإلهيّة حصرًا.

رواية مهزم الأسدي عن الإمام الصادق عليه السلام: «...إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ وَ قَدْ قَالَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ. يَا مِهْزَمُ... أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُخَالِفَ وَقْتَ الْمُوَقِّتِينَ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ٣٦٨).

تحليل: تطرح هذه الرواية نقطة بالغة الأهمية: إنّ الإرادة الإلهية تعلقت بأن «تنقض» كل وقت محدد. وهذه العبارة هي تمهيدٌ لفهم «البداء». أي أنّ الله تعالى يبطل بصورة فاعلة ادعاء الجبريّة الزمنيّة.

نتيجة المحور الأول: تقدّم روايات هذا القسم، بأقوى العبارات الممكنة، فكر

«التوقيت» ككذب وانحراف وادعاء باطل. فلو كان «التوقيت» حقيقة، لما كذّبه الأئمة عليهم السلام بهذه الشدة قط.

المحور الثاني: روايات إثبات مبدأ «البداء» بشكل عام

في المقابل، قدَّم الأئمة عليهم السلام «البداء» ليس فقط كمبدأ ممكن، بل كأحد أركان معرفة الله.

رواية الإمام الصادق عليه السلام: «مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص ١٤٩). رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ مِنَ الْأَجْرِ مَا فَتَرُوا عَنِ الْكَلَامِ فِيهِ» (الصدوق، ١٣٩٨هـ، ص ٣٣٤).

تحليل: تُظهر هذه الروايات أنّ «البداء» ليس مفهوماً هامشياً، بل هو يقع في مركز الإلهيّات الشيعيّة. فالاعتقاد بالبداء يعني الإيمان بإله حي، فاعل، حكيم، ذي قدرة مطلقة، لا ينحصر فعله بمقدّرات مكتوبة سلفاً. وهذه الإلهيّات هي بالضبط نقيض الإله المنفعل «صانع الساعات» في فكر «التوقيت».

المحور الثالث: الروايات الدالّة على الارتباط المباشر بين «البداء» و«أمر الظهور»

هذا القسم هو ذروة التعارض. فالروايات تعلن صراحة أنّ «البداء» يمكن أن يقع في «أمر الفرج» نفسه. وهذا يعني أنّ زمن الظهور أمر «سيّال» و«مشروط»، لا «ثابت» و«مطلق».

الرواية الرئيسة للإمام الصادق عليه السلام عن بني إسرائيل: «لَمَّا طَالَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَذَابُ، ضَجُّوا وَ بَكَوْا إِلَى اللَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى وَ هَارُونَ يُخَلِّصُهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَحَطَّ عَنْهُمْ سَبْعِينَ وَ مِائَةَ سَنَةٍ. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هَكَذَا أَنْتُمْ، لَوْ فَعَلْتُمْ لَفَرَّجَ اللَّهُ عَنَّا، فَأَمَّا إِذَا لَمْ تَكُونُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْتَهِي إِلَى مُنْتَهَاهُ» (العياشي، ١٣٨٠هـ، ج٢، ص ١٥٤).

تحليل: هذه الرواية تشكّل ميثاقاً كاملاً:

١. إثبات البداء في تقدير الأمم: أحدث الله «البداء» في تقدير بني إسرائيل.

٢. أداة البداء: الدعاء والتضرع الجماعي (عمل الإنسان) كان سبب هذا التغيير.

٣. التعميم على الأمّة الإسلامية: يُعمّمُ الإمامُ هذه القاعدةَ صراحةً لتشملَ «أمرَ الفرج» عند الشيعة.

٤. اشتراط الفرج: الفرج مرتبط بـ«فعلنا» و«عملنا».

رواية زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام: «...مِنَ الْأُمُورِ أُمُورٌ مَوْقُوفَةٌ وَ أُمُورٌ مَحْتُومَةٌ وَ أَنَّ السُّفْيَانِيَّ مِنَ الْمَحْتُومِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ» (النعماني، ١٣٩٧هـ، ص ٣٠١).

تحليل: يُفرّق الإمام عليه السلام -حتّى في علامات الظهور- بين الأمور «المحتومة» والأمور «الموقوفة» (التي يجري فيها البداء). وهذا يدلّ على أنّ التقدير الإلهيّ في هذا المجال ليس متجانسًا ولا مطلقًا. فإذا كان البداء ممكنًا في تفاصيل العلامات، فمن باب أولى أن يكون ذلك ممكناً في "الزمن الكلّيّ للظهور" الذي يتوقّف على استعداد الأمّة.

النتيجة النهائية من منظور الروايات

عند ضمّ هذه الفئات الثلاث من الروايات إلى بعضها، تتشكّل لوحة واضحة تماماً لا غموض فيها:

١. روايات «التوقيت» تعتبره ادّعاءً كاذباً ومخالفاً للإرادة الإلهية الفاعلة.

٢. روايات «البداء» تعتبره مبدأً اعتقادياً ودليلاً على القدرة المطلقة لله.

٣. الروايات الخاصة بـ«الظهور» تعلن صراحة أنّ البداء ممكن في أمر الفرج، وأنّ هذا الأمر مرتبط بأعمال البشر (الدعاء والأداء العام للأمّة).

وعليه، فإنّ تعارض هذين المنظورين في الروايات هو تعارض ذاتي لا يقبل

التوفيق. لا يمكن الإيمان بـ«كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ» وفي الوقت نفسه السعي لكشف وقت الظهور. ولا يمكن الإيمان بقوله: «هكذا أنتم لو فعلتم لَفرّج الله عنّا»، وفي نفس الوقت اعتبار زمن الظهور أمراً ثابتاً لا علاقة له بالأعمال.

إنّ الإيمان بروايات النهي عن التوقيت يستلزم منطقيًّا الإقرار بسيولة زمن الظهور. والإيمان بروايات البداء في أمر الفرج يستلزم منطقياً نفي أيّ توقيت ثابت وحتميّ. فهذان الخطّان الفكريّان في السنة الروائية لأهل البيت عليهم السلام منفصلان تماماً، والجمع بينهما مستحيل.

٥-٣-٢. تعارض «التوقيت» و«البداء»: تقابل نهجين في نظام العلامات وشروط الظهور

إنّ فكر المهدوية في مذهب أهل البيت عليهم السلام ليس مجرد تنبؤ بسيط بحدث مستقبلي، بل هو منظومة معقّدة ومنضبطة بالقواعد، تشمل مقدّمات وشروطاً وعلامات بعضها ثابت وبعضها الآخر متغيّر. يتجلّى التضارب الأساسيّ بين «التوقيت» و«البداء» بالضبط في كيفيّة النظرة إلى هذا النظام المعقّد. فـ«التوقيت» يتجاهل هذا النظام، بينما «البداء» يعترف به ويُضفي عليها معنًى.

يمكن تحليل هذا التعارض في قسمين:

القسم الأول: نهج «التوقيت» وإفراغ نظام العلامات والشروط من معناه

فكر «التوقيت» (تحديد الوقت) بتركيزه الحصري على «الزمن»، يعطّل عملياً الشبكة المعقّدة للعلامات والشروط ويدفعها إلى الهامش. وهذا النهج يحوّل نظاماً «عليًّا ـ معلوليًّا» إلى نظام «زمنيّ ـ جبريّ».

١- إلغاء «الشرطيّة» للشروط و«السببيّة» للعلامات

أساس فلسفة «شروط الظهور» (كالاستعداد العالمي، وجود الأعيان الخاصّة،

وغيرها) هو أنّ الظهور «معلول» يحتاج إلى تحقق «العلّة التامّة». وجزء مهم من هذه العلّة يعود إلى الاستعداد البشري وتهيئة الأرضيات.

نظرة التوقيت: إذا كان زمن الظهور، مثلاً، سنة ١٤١٠ هجرية شمسية، فإنّ هذا الحدث سيقع في ذلك التاريخ، سواء تحقّقت شروطه أم لم تتحقق. ففي هذا المنظور، «الزمن» وحده هو العلّة التامّة، و«الشروط» ليست سوى حوادث متزامنة أو زخرفيّة، لا أجزاء ضروريّة للعلّة. هذا المنظور يقطع العلاقة المنطقيّة بين «الشرط» و«المشروط».

٢- تحويل المنتظر من «ممهِّد فعّال» إلى «مُطبِّق سلبي»

فلسفة ذكر العلامات هي توعية الشيعة لتحليل الظروف وفهم الموقف والسعي لتهيئة الأرضية.

في نظرة التوقيت: تخرج العلامات من دورها التمهيدي وتصبح مجرّد مؤشّرات لـ«تطبيقها» على الأشخاص والأحداث الجارية، لتكتمل بذلك أججية الزمن المنشود. وهذا يؤدّي إلى «التطبيقيّة» التي تنسب كل شخصيّة سياسيّة أو حدث طبيعي إلى إحدى العلامات. فالمنتظر، بدلاً من أن يسعى إلى «إيجاد الشروط وتهيئة الأرضيّة»، يبحث عن «إيجاد العلامات» في طيّات الأخبار اليوميّة، فيتقاعس عن واجبه الأساسي.

القسم الثاني: نهج «البداء» وإضفاء المعنى على نظام العلامات والشروط

مبدأ «البداء» يمنح نظام العلامات والشروط معنى وديناميكية ووظيفة. فالبداء يؤكّد أنّ المستقبل ليس مسارًا خطيًّا مكتوبًا سلفًا، بل هو شبكة تفاعليّة من السنن الإلهيّة والأفعال البشريّة.

١- إثبات «الشرطيّة» للشروط و«السببيّة» للعلامات

الاعتقاد بالبداء يعني قبول أنّ المقدّرات الإلهية (في لوح المحو والإثبات) مشروطة. فالظهور أيضاً - كتقدير عظيم - مشروط بتحقق شروطه. بناءً على النظرة القائمة على البداء، لن يقع الظهور ما لم تتهيّأ شروطه. فإذا سعى البشر إلى تهيئة هذه الشروط (كالاستعداد الفكري والأخلاقي والاجتماعي)، فإنّهم يستطيعون أن يكونوا مؤثّرين في تقريب أمر الظهور. وإذا قصّروا، فقد يتأخّر هذا الأمر. ففي هذا المنظور، «الشروط» هي حقّاً «شروط»، و«العلامات» هي حقّاً «علامات» لعمليّة سببيّة (علّيّة ومعلوليّة).

٢- التبرير المنطقي للتفريق بين العلامات الحتميّة وغير الحتميّة

مبدأ البداء يكشف بوضوح سرّ التفريق بين هذين النوعين من العلامات. وفي النظرة القائمة على البداء، العلامات الحتميّة هي أمور سُجّلت في العلم المكنون الإلهي (اللوح المحفوظ)، وتعلّقت الإرادة الحتميَّة لله بوقوعها، ولا يستطيع أيّ شرط أن يمنعها.

أمّا العلامات غير الحتميّة فهي أمور سُجّلت في لوح المحو والإثبات، ولكن وقوعها «مشروط» بشروط معيّنة .وقد تتوقف هذه الشروط على أعمال البشر، أو الحكم الإلهية، أو عوامل أخرى. فإذا لم تتحقق تلك الشروط، يتجاوز الله سبحانه - بواسطة «البداء» - عن وقوع تلك العلامة. هذا التفريق يدلّ على ديناميكيّة الإرادة الإلهيّة وانفتاح يد الله في إدارة التاريخ؛ وهو ما يبيّنه «البداء».

٣- تحويل المنتظر من «مُطبِّق» إلى «عامل تغيير وممهّد»

عندما يعلم المنتظر أنّ المستقبل ليس حتميًّا، وأنّ العلامات والشروط أمور متغيّرة مرتبطة بأدائه، فإنّ نهجه يتغيّر كلّياً. في النظرة القائمة على البداء، بدلاً من

التطبيقات المتسرّعة، يسعى المنتظر إلى «تحقيق» الشروط الإيجابيّة و«منع» الموانع. فهو يدرك أنّه بالدعاء والتوبة والإصلاح الفردي والاجتماعي، والسعي لإحداث الاستعداد في المجتمع، إنّما يقوم بدور فاعل في نظام العلامات والشروط. فبدلاً من أن يسأل: «من هو السفيانيّ؟»، يسأل: «كيف يمكنني أن أكون من أنصار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأُعِدّ المجتمع لقبوله؟». هذا النهج يحوِّل الانتظار من حالة سلبيّة إلى «مشروع فاعل».

خلاصة القول، إنّ نموذج التوقيت هو نموذج خطّي أحاديّ البُعد، يجعل «الزمن» محورا للارتكاز، ويتجاهل النظام المعقّد ومتعدّد الأبعاد للعلامات والشروط، ويُصيّرها عديمة الأثر والمعنى. وفي المقابل، فإنّ نموذج البداء هو نموذج واقعي، يعترف بتغيّر المقدّرات واشتراطها، ويمنح نظام العلامات والشروط معنى حقيقيّاً، ويثبت الدور المحوري «للفعل الإنساني» في هذا النظام. وعليه، فإنّ قبول التوقيت يستلزم إنكاراً عمليّاً لنظام العلامات والشروط (خاصّة العلامات المتغيّرة)، بينما قبول البداء يستلزم الاعتراف بهذا النظام وفهم وظيفته الحقيقيّة. وهذان المنظوران لا يمكن أن يتواجدا معاً، لأنّ أحدهما يهدم أساس الآخر.

٦. تحليل الأثر العملي للاعتقاد بالبداء على ديناميكية المجتمعات المنتظرة

إنّ الاعتقاد بـ«البداء» كأحد المبادئ الأساسية في علم الكلام الشيعي، ليس مجرّد بحث نظريّ وتجريديّ، بل له نتائج عمليّة عميقة على رؤية المؤمنين للعالم وفاعليتهم. فهذا المبدأ، الذي يؤكّد على إمكانيّة التغيير في المقدّرات الإلهية بناءً على أعمال الإنسان، يؤدّي دوراً حيويّاً خاصة في ثقافة «الانتظار». فيما يلي بيان كيف أنّ الإيمان بالبداء يحرّر المجتمع المنتظر من السلبيّة والجبريّة، ويحوّله إلى مجتمع ديناميكي مسؤول ومتفائل.

٦-١. تعزيز الأمل ومكافحة اليأس

الاعتقاد بالبداء ينفي أيّ جبرية أو طريق مسدود تاريخي. فالمجتمع المنتظر يعلم أنّه بالدعاء والتوبة والإصلاح والجهد الجماعي، يمكن تغيير الظروف والتعجيل في أمر الفرج. وهذا الأمل هو في حد ذاته وقود الحركة والمقاومة. في المقابل، فإنّ فكر التوقيت بطبيعته يبعث على اليأس. فبعد كل وعد كاذب وعدم تحققه، تجتاح المجتمعَ موجة من الإحباط والشك بل والإنكار. لكنّ الإيمان بالبداء يجتثّ هذه الآفة من جذورها، إذ إنّه وفقًا لمبدأ البداء، لا يوجد وقتٌ قطعيٌّ قابل لعدم التحقّق أصلًا.

٦-٢. إضفاء المعنى على الأعمال وتقويّة المسؤوليّة

لماذا يجب الدعاء؟ لماذا يجب التصدّق؟ لماذا يجب تهيئة الأرضيّة للظهور؟ مبدأ البداء يقدّم إجابات موضوعيّة على كل هذه الأسئلة. فهذه الأعمال ليست لمجرّد نيل الثواب الأخروي، بل هي أفعال مؤثّرة لتغيير «التقدير» وتقريب «المستقبل المطلوب». فدعاء الفرج يتحوّل من مجرّد دعاء لساني إلى أداة قويّة للتأثير في التاريخ. إنّ البداء في أمر الظهور هو ظاهرة جماعيّة. فكما كان «الضجيج الجماعي» لبني إسرائيل مؤثّراً في قصّتهم، كذلك فإنّ «الاستعداد والإرادة الجماعيين» للشيعة هو شرط في أمر الفرج (العياشي، ١٣٨٠هـ، ج٢، ص ١٥٤)[١]. وهذا الإيمان يذكّر الفرد بأنّ ذنبه يمكن أن يكون مؤثّراً في تأخير الفرج، وأنّ جهده لإصلاح نفسه ومجتمعه هو خطوة نحو تعجيله. وهذا الشعور

١. روي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن: «فَلَمّا طالَ عَلى بَنى إسرائيلَ العَذابُ، ضَجّوا و بَكَوا إلَى اللهِ أربَعينَ صَباحاً، فَأَوحَى اللهُ إلى موسى و هارونَ أن يُخَلِّصَهم مِن فِرعَونَ، فَحَطَّ عَنهُم سَبعينَ و مِئَةَ سَنَةٍ. قالَ: و قالَ أبو عَبدِ اللهِ عليه السلام: هكَذا أنتُم لَو فَعَلتُم لَفَرَّجَ اللهُ عَنّا، فَأَمّا إذا لَم تَكونوا فَإِنَّ الأَمرَ يَنتَهى إلى مُنتَهاهُ».

بالمسؤوليّة الاجتماعيّة يزيد من الديناميكيّة والتضامن في المجتمع المنتظِر.

٦-٣. تبيين فلسفة الغيبة والانتظار

الاعتقاد بالبداء يحوّل فلسفة الغيبة والانتظار من حالة الانتظار الجبريّ والسلبيّ إلى انتظارٍ حركيٍّ وهادفٍ. فبناءً عليه، الغيبة هي فترة لبلوغ المجتمع النضج والكفاءة اللازمين لقبول الحكومة العالمية، وطول أمدها دليلٌ على عدم تحقق هذه الشروط. هذا المنظور يغيّر طبيعة «الانتظار» من حالة سلبيّة إلى حالة «فاعلة»، بحيث يكون المنتظر الحقيقي هو من يقوم بدور في «تهيئة شروط الظهور». وبالتالي، تتحوّل عقيدة المهدويّة إلى «مشروع حضاريّ مرتكز على الإنسان» يكون فيه زمن الظهور متغيّراً مرتبطاً بأداء الأمّة. إنّ هذا الاعتقاد، عبرَ بثّ روح الأمل والشعور بالمسؤوليّة، يُحوّل المجتمعَ إلى قوّة صانعة للتاريخ، ويبيّن لماذا يُعتبر «التوقيت» (تحديد وقت للظهور) - بسبب تجاهله الدور المحوري للإنسان والظروف - انحرافاً جذرياً عن فلسفة الانتظار.

النتيجة

إنّ الظاهرة المنحرفة المسمّاة بـ«التوقيت» المنحرفة ومبدأ «البداء» الكلامي الأساسي يقومان على أساسين متضادّين تماماً. فالتوقيت يؤكّد على جبريّة تاريخيّة وحتميّة زمنيّة للظهور، تتجاهل دور الاختيار والعمل الإنساني في تعجيل أو تأخير هذا الأمر العظيم. وهذا المنظور يحوّل مفهوم الانتظار إلى حالة من السكون والسلبيّة.

وفي المقابل، فإنّ مبدأ البداء، بفتحه باب التغيير في المقدّرات غير الحتمية، يثبت الدور المحوري للإرادة والعمل الإنساني. وبناءً على هذا المبدأ، فإنّ زمن الظهور هو أمرٌ سيّال مشروط بتحقق الظروف، وأهمّها استعداد المنتظرين

وإرادتهم الجماعيّة. ومن ثمّ، فإنّ الدعاء لتعجيل الفرج، والسعي للإصلاح الفردي والاجتماعي، وتهيئة الأرضيّة الفكريّة والعمليّة، كلّها أفعال ذات معنى ومؤثرة في تقريب ذلك الشروق الموعود.

وعليه، فإنّ التعارض بين التوقيت والبداء هو تعارض كلامي عميق لا يقبل التوفيق. فقبول أحدهما يؤدّي منطقياً إلى رفض الآخر. لقد بيّن الفكر الإمامي - بتأكيده على مبدأ «البداء» - مسار الانتظار بأكثر الصور حركيّةً ومسؤوليّةً، وسدّ - بنفيه القاطع «للتوقيت» - الطريق أمام أيّ انحرافٍ أو يأسٍ أو خرافيّة في هذا المجال. إنّ إدراك هذا التعارض يصون المنتظرين من الوقوع في فخّ الوقّاتين، ويحثّهم على القيام بدور فاعل في سبيل تهيئة الأرضية للظهور.

المصادر

* القرآن الكريم

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (١٤٠٧هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، ج١، الطبعة الرابعة). بيروت: دار العلم للملايين.

خطيبي كوشكي. محمد. (١٣٨٦ش). فرهنگ شيعه. قم: زمزم هدايت.

سليميان، خدامراد. (١٣٨٨ش). ارتباط بداء با ظهور حضرت مهدی عجل الله تعالى فرجه الشريف. انتظار موعود، شماره ٣٠، صص ٨٩-١١٦.

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي. (١٣٩٥هـ). كمال الدين وتمام النعمة (المحقق: علي أكبر الغفاري، ج٢، الطبعة الثانية). طهران: انتشارات إسلاميه.

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي. (١٣٩٨هـ). التوحيد (المحقق: السيد هاشم الحسيني الطهراني) قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

الطباطبائي، السيد محمد حسين. (١٤١٧هـ). الميزان في تفسير القرآن (الطبعة الخامسة). قم: منشورات جماعة المدرسين.

الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي. (١٤١٦هـ). مجمع البحرين (المحقق: السيد أحمد الحسيني، ج١، الطبعة الثالثة). طهران: مكتبة المرتضوي.

الطوسي، محمد بن حسن. (١٤١١هـ). الغيبة (المحقق: عباد الله طهراني وعلي أحمد ناصح). قم: مؤسسة المعارف الإسلامية.

العياشي، محمد بن مسعود. (١٣٨٠هـ). تفسير العيّاشي (ج٢). طهران: المطبعة العلمية.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٤٠٧هـ). الكافي (المصحح: علي أكبر الغفاري ومحمد آخوندي، ج١). طهران: دار الكتب الإسلامية.

المجلسي، محمدباقر. (١٤٠٣هـ). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (ج٤، الطبعة الثانية). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المفيد، محمد بن محمد. (١٤١٤هـ). تصحيح اعتقادات الإمامية (الطبعة الثانية). قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

النعماني، محمد بن إبراهيم. (١٣٩٧هـ). الغيبة (المصحح: عليأكبر الغفاري). طهران: نشر صدوق.